Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

جدل الهوية والإعلام الجديد

كريمة محمد كربية

أستاذ مشارك
كلية الآداب والفنون التطبيقية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز
k.karbia@psau.edu.sa

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٠/٠٥/١٣
تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢٠/١٢/٢٨

جدل الهوية والإعلام الجديد

كريمة محمد كربية

الملخص

لقد أحدث الإعلام الجديد news media نقلة في أساليب حياة الأفراد وطرق تفكيرهم وتواصلهم وهو ما أثر في تمثيلاتهم لذواتهم وهوياتهم. كما يعتبر الإعلام الجديد تحديا للهوية الثقافية العربية من خلال توظيف ثورة الاتصال الإلكتروني electronic ووسائل التقدم التكنولوجي لتهميشها وزعزعة مكانتها التاريخية وثوابها القيمية. لذلك سنحاول في هذا البحث رصد مدى تأثير هذا الإعلام في الهوية الثقافية سلبا وإيجابا مما استوجب منا التساؤل عن مدى مساهمة الإعلام الجديد في تفتيت الهوية بل انتاج هويات افتراضية جديدة يكونها الانسان في المجتمع الافتراضي ويحيل بالتالي الإعلام الجديد (الفيس بوك – التويتر –يوتيوب – مواقع الويب .....) وفق ذلك إلى هويات متلونة تتقمص العديد من الذوات وتشبع الرغبات النفسية والثقافية التي تؤدي بالضرورة إلى قلق الانتماء إلى جماعة ثابتة المعالم وواضحة المرجعيات. ولكننا في نفس الوقت سنحاول إبراز دور هذا الإعلام في الحفاظ على الخصوصية الثقافية ويكمن الهدف الأساسي من هذا البحث في إبراز كيفية الحفاظ على الهوية الثقافية رغم التحديات في ظل الإعلام الجديد. وسنتبع من أجل تحقيق ذلك الخطوات الآتية: تحديد المفاهيم. سرد تطبيقات الإعلام الجديد وخصائصه. علاقة الإعلام الجديد بالهوية من خلال الحتميات الثلاث التكنولوجية والاجتماعية والقيمية. لنصل إلى أن هذا الإعلام منتج لهويات جديدة محلية وافتراضية. إبراز كيفية مساهمة الإعلام الجديد في تعميق وإعلاء الهوية الثقافية وعدم تهميشها.

الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، الهوية الثقافية، الهوية الافتراضية.

Identity Dialectic and New Mass Communication

Karima karbia

Abstract:

The new media has brought about a shift in individuals' lifestyles, ways of thinking and communication, which has affected their representations of themselves and their identities. The new media is also, considered as a challenge to the Arab cultural identity by employing the electronic communication revolution and the means of technological progress to marginalize it and destabilize its historical position and its valuable constants in general and Arabic in particular. Our primary purpose in this research is to highlight how to preserve the cultural identity despite the challenges in light of the new media. Therefore, we will try in this research to monitor the extent of the impact of this media on the cultural identity in a negative and positive way, which necessitated us to ask about the extent of the new media's contribution to the fragmentation of identity. Rather the production of new virtual identities that people create in the virtual society. The new media, accordingly, refers to various identities that hold many Subjects and the fulfillment of psychological and cultural desires that necessarily lead to anxiety of belonging to a group with well-defined and clear references. At the same time, we will try to highlight the role of this media in preserving cultural privacy. The essential purpose of this research is, thus, highlighting the way to preserve the cultural identity despite the challenges in the new media era. Therefore, we will work towards achieving this purpose by following the steps below:Defining concepts.List new media applications and features. The relationship of new media with identity through the three imperatives: technological, social, and ethical.To conclude that this media produces new local and virtual identities. Highlight how the new media can contribute to deepening and upholding the cultural identity and to marginalize it.

Keywords: The Social Media; Cultural Identity; Virtual Identity.

مقدمة:

أصبحت الإنترنت الوسيلة الاتصالية الأكثر انتشارا في الأوساط الاجتماعية في المناطق العربية والعالمية على حد سواء.. ومن أكثر الرهانات التجريدية والجدلية التي تطرحها الإنترنت تمكينها للفاعلين عبرها من تجاوز الإكراه المرتبط بالفضاء الواقعي إلى استحداثها لسياقات اتصالية جديدة طابعها الافتراضية حيث يحدث التواصل والتفاعل لشخصيات تتواصل فقط عبر رموز افتراضية. هذا التواصل لم يسمح فقط بتجاوز الهوية الواقعية بعناصرها المتعددة، بل وفتح مجالا واسعاً لاصطناع هويات افتراضية وإدارتها بما يتناسب ورغبة الشخص في تعدد الهويات، مؤسسا بذلك للمبدأ الأساس للوجود البشري القائم على أن الذات واحدة والهويات متعددة لذلك تحتل مسألة الهوية موقع الصدارة في النقاشات الاجتماعية على الدوام، ليس لأنها مسألة جديدة، فموضوع الهوية قديم متجدد يرتبط بالوجود البشري وأصالته، بل لأنه موضوع كثير التشعب، واسع النطاق يرتبط بوجود الذات البشرية وجوهرها وانتمائها، ويعتبر الأساس في إرساء وجودها على أرضية الاجتماع البشري وإن شكّلت الهوية الهاجس الأبرز في النقاشات الاجتماعية، فهي في الوقت الراهن أكثر حضورا وأشد حساسية لذلك سنعمل على إيجاد طرق للحفاظ على الهوية الثقافية العربية في ظل الإعلام الجديد.

أهمية الدراسة:

معرفة دور التفاعلات التي يساهم الإعلام الجديد في تشكيلها وفي تكوين جماعات وأفراد على شبكة الأنترنت.

أهداف الدراسة:

- دور الإعلام الجديد في تشكيل وبناء الهويات ومعرفة التأثير الذي يمارسه هذا الإعلام كفضاء مفتوح على كل الاتجاهات
- الكشف عن مكامن القوة والضعف لدور وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية.
- الكشف عن الدور الإيجابي الذي يمارسه الإعلام الجديد للحفاظ على الهوية و الحوار مع الآخر.

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي والمقارن وذلك بدراسة البحوث السابقة التي تتناول الإعلام الجديد والهوية ثم نقدها مبرزين الخصوصية والإضافة التي يقدمها بحثنا.

مشكلة الدراسة:

تحتل مسألة الهوية موقع الصدارة في النقاشات الاجتماعية على الدوام، ليس لأنها مسألة جديدة، فموضوع الهوية قديم متجدد يرتبط بالوجود البشري وأصالته، بل لأنه موضوع كثير التشعب، واسع النطاق يرتبط بوجود الذات البشرية وجوهرها وانتمائها، ويعتبر الأساس في إرساء وجودها على أرضية الاجتماع البشرية وإن شكلت الهوية الهاجس الأبرز في النقاشات الاجتماعية، فهي في الوقت الراهن أكثر حضورا وأشد حساسية على اعتبار أن الزمن المعاصر شهد انشطار الهويات القديمة، التي شكّلت لفترة طويلة قاعدة لاستقرار الفضاء الاجتماعي يجعل الفرد المعاصر، بصفته ذاتا متميزة في حالة من التفتّت والتشرذم، تتجاذبه هويات متعددة ّ ومتنوعة، ومتناقضة في أحايين كثيرة غير قابلة للتناغم والانسجام لذلك تسعى هذه الدراسة للبحث في الآثار الاجتماعية و الثقافية للإعلام الجديد على الهوية من خلال البحث في المحاور الآتي ذكرها:

- ما هي معالم الهوية الجديدة التي تطرحها تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة؟
- كيف تؤثر الشبكات الاجتماعية على الهوية الثقافية والاجتماعية؟
- إلى أي مدى يمكن دعم الهوية وتعزيزها حتى تتمكن من الصمود بذاتها وخصوصيتها في ظل عالم متسارع يقبع تحت هيمنة سلطة الإعلام؟
- ما هي معالم الهوية الثقافية والاجتماعية عبر شبكات التواصل الاجتماعي الجديد مع التأكيد على أهمية الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والشعوب؟

الدراسات السابقة:

تستمد هذه دراسة مشروعيتها المعرفية والمنهجية من مجموعة الدراسات والبحوث التي تلتقي معها في متغير أو أكثر، فالبحوث السابقة هي مصدر إلهام لا غنى عنها بالنسبة للباحث فكل بحث ما هو إلا امتداد للبحوث التي سبقته، لذلك لابد من استعراض الأدبيات السابقة.

وتعد الدراسات السابقة من الخطوات المنهجية في البحث العلمي، وهي لا تذكر فقط لأن لها علالة بالموضوع المدروس أو من باب الذكر فقط، وإنما من أجل الاستفادة منها من الناحية النظرية ومن الناحية المنهجية.

ونظرا لكثرة الدراسات التي تناولت موضوع الإعلام الجديد والهوية فقد اخترنا نموذجين لذلك

- لقد طرح الباحث المغربي عبد الحكيم أحمين، موضوع الهوية من خلال اللغة أو الدين أو التقاليد على أنها لم تعد كافية للوصول إلى التوصيف الدقيق، لا سيما في زمن مواقع التواصل الاجتماعي وأشهرها "فيسبوك" و"تويتر".

وانطلاقا من هذا المبدأ يوجه انتباه المفكرين والباحثين إلى ضرورة إعادة النظر في مسألة الهوية، تلك المحاولة جاءت عبر كتابه "الهويات الافتراضية في المجتمعات العربية. أي دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية؟" ويحاول الكتاب، حسب صاحبه، إماطة الحجب الذي يحول دون رؤية الهويات المتعددة والمتصارعة في الواقعين الحقيقي والافتراضي. ويسعى إلى التعريف بها وكيفية نشوئها، ويوضح بعض عناصرها ومقوماتها وسماتها، ويحلل بعض آلامها وآمالها.

ويركز في ذلك على مواقع التواصل الاجتماعي باعتبار أنها صارت اهتمام العديد خاصة الشباب والأطفال، ليوضح الأجواء المحيطة بهذه الهويات في الواقع الافتراضي أو الرقمي.

ينطلق الكاتب من أن الإعلام الجديد، بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي، كشف الكثير من القضايا والمسائل التي كانت تؤثر في واقع الناس، لكنها لم تجد الوسيلة الأوسع انتشارا، ولا الفرصة المناسبة للتعبير عن نفسها.

هكذا صارت حلبة الإعلام الجديد تعجّ بخطابات متنوعة عن الهوية، وتشهد ميلاد هويات جديدة وأخرى تقليدية تبحث عن موطئ قدم بين نظيراتها.

ويتبنى الكتاب تسمية الهويات الافتراضية لكون هذه الهويات ما تزال افتراضية وغير واضحة المفهوم لدى عموم الناس.

ويرى أن الشباب والفتيان، الذين يبحرون في عوالم الإنترنت عبر أجهزة إلكترونية متعددة، صاروا يملكون ذاكرة هويتهم الشخصية بما يروج فيها. ومما يزيد من تأكيد مفهوم الهويات

الافتراضية عند المؤلف هو أن "بعض الهويات الموجودة بين شعوب المجتمعات العربية لا تزال هويات افتراضية برزت على شبكة الإنترنت وتتفاعل عبر هذه الشبكة، لكنها لا تستطيع أن تعيش على أرض الواقع، أو أنها لا تزال في مخاض لبلورة نفسها في صورة محددة.

ويخلص الكاتب إلى أن ترك الهويات افتراضية وعدم توضيحها توضيحا شافيا، من شأنه أن يساهم في تناسل هويات افتراضية أخرى.

كما أنه يحول دون التعارف بين الهويات، التي توجد على أرض الواقع، ويحول أيضا دون التعايش بينها.

- أما الكتاب الثاني فهو للكاتب محمد ناصر عبد الباسط، عنوانه "الإعلام الفضائي والهوية الثقافية. "ولقد سعى الباحث من خلاله إلى معرفة كيفية التعامل مع التدفق الإعلامي الذي صاحب البث الفضائي، وركز على القطاع الفضائي العربي ودوره المستقبلي في دعم ومساندة وتعميق الثقافة القومية، ومعرفة ما ينتجه هذا القطاع الفضائي في تطوير معارف الفرد ومداركه، والتأثير على أنماط سلوكه، وحمايته من الثقافة الاستهلاكية. ولقد ركز الباحث على جانب مهم من الهوية الثقافية، ألا وهو هوية المأثور الشعبي في عصر العولمة، وما يمكن أن يقوم به هذا الأخير من أدوار بوصفه وسيلة للدفاع عن الهوية والمواطنة، ومعرفة تأثير التكنولوجيا الحديثة على مصداقيته والطفرات العلمية المتلاحقة. ولقد توصل الباحث في الأخير إلى جملة من النتائج:
- الهوية متفردة تميز الذات عن غيرها، وهي صفات تشترك فيها مجموعة من البشر والهوية الثقافية مقرونة بالهوية، حيث لا تبرز خصائصها إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان عناصره: الوطن، الأمة، الدولة.
- الهوية نمط معيشي يتفاعل مع المتغيرات، ولكنه لا يتلاشى.
- الحفاظ على الهوية لا يعني الانطواء على الذات، وإنما يعني المزيد من التفاعل المتزن مع الثقافات الأخرى.
- للإعلام دور ينبغي أن يلعبه في دعم الهوية، ودفعها خطوات على طريق البقاء والاستمرارية.
- كما توصل الباحث فيما يتعلق بالهوية العربية ودور الإعلام في الحفاظ عليها، إلى أنَ الخطاب الإعلامي العربي ينقسم إلى اتجاهين الأول: يدعو إلى التمسك بالأصول والهوية، أما الاتجاه الثاني فيدعو إلى السعي وراء تكوين هوية عالمية جامعة.
- بعد القيام بعرض الدراسات السابقة، والتي تناولت في معظمها متغير الهوية الثقافية وتأثير وسيلة من وسائل الإعلام الأخرى، سنعمل على التركيز في دراستنا هذه على أثر الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي .....)، على الهوية الثقافية، وهذا الجانب مهم جدا مقارنة مع الجوانب الأخرى، لأنه يتعلق بالدين واللغة والتاريخ والعادات. والتقاليد.... ولقد كانت الاستفادة من هذه الدراسات في الجانب التوثيقي خاصة فيما يخص ضبط كل من مفهوم الهوية الثقافية وأهم العناصر والمقومات المكونة لها، وكذلك مقارنة النتائج المتوصل إليها مع نتائج دراستنا الحالية

الإعلام الجديد:

يعرف الإعلام الجديد بأنه" تلك الوسائل الحديثة للاتصال، متمثلة في الفيس بوك وتويتر ويتوب يمكن أن تكون مكملة للإعلام التقليدي، لينتج عالم يزاوج بين المهنة وصرامة التقاليد التي نشأت عليها السلطة الرابعة، وبين التقنية الحديثة التي تتيح للإعلام التقليدي الفرصة ليكون أكثر قربا من الحدث فحسب، بل من الناس أيضا" (منصور) وهذا هو جوهر الموضوع. "نلاحظ أن هذا التعريف يمزج بين الإعلام التقليدي والجديد، ويرى أن الإعلام الجديد هو مكمل للإعلام التقليدي ولكنه تطور من حيث التقنيات والوسائط، ليكون قريبا من الأحداث لينصهر في مجرياته وفي مخاطبة كل الناس أفرادا وجماعات .كما يعرف إبراهيم إسماعيل الإعلام المعاصر بأنه: "هو ذلك الإعلام الذي يقوم على استخدام التكنولوجيا الرقمية ، وتطبيقات النشر والبث الإلكتروني متيحا المشاركة للجميع كمتلقين للمادة الإعلامية ووسطا لتداولها والتفاعل معها بحرية و مرونة ."إن تعريف إسماعيل للإعلام المعاصر، يركز على بعض الخصائص التي قد تميز هذا الإعلام مقارنة مع الإعلام التقليدي والمتجلية في الرقمية والتكنولوجيا والتفاعلية والحرية للفاعلين والمرونة (إسماعيل، ٢٠١٢).

هذا ويشير الإعلام الجديد "media news" إلى مجموعة من الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة، التي تمكننا من إنتاج ونشر واستهلاك المحتوى الإعلامي بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الإلكترونية الوسائط المختلفة أو غير متصلة بالأنترنيت ."ولقد اختلفت المفاهيم الخاصة حول الإعلام الجديد، فهناك عدة مفاهيم الإعلام البديل، الشبكي المجتمعي، المعاصر، الإلكتروني، الرقمي نظرا للخصائص التي يتسم بها من حيث السرعة والتفاعلية والمرونة والتأثير والوسائط ،وكون المفهوم لا يزال في ديناميكية البناء نتيجة التطورات الفائقة على النظام الرقمي كما يقول" زيغموند باومان فنحن في زمن الحداثة السائلة الزمن السائل"، أين أصبحت الصورة والرموز والمعاني تصب في كل الاتجاهات. (باومان، ٢٠١١).

الهوية:

إن مفهوم الهوية المقترن بالوجود الإنساني، و هو يشكل نقطة التقاء العديد من التخصصات: الفلسفة، علم النفس، علم النفس الاجتماعي، السوسيولوجي، الأنثروبولوجي، ومن هذا المنطلق لازال مفهوم الهوية يستفز الكثير من الباحثين والعقول كونها ليست نهائية، بل متجددة متفاعلة مع الزمكانية جدلية بين أنا والآخر وتشمل العديد من الشعوب والأيديولوجيات والثقافات والقوميات، فهي تجمع بذلك العديد من المقاربات وسنورد بعضها: الهوية هي: "الانتماء الذي يكون مرادفا للخضوع لنظام مجموعة ما و التموضع ضمن هذا النظام بل والاندماج ضمن وحدة تنوع، كما التنوع ضمن وحدة نسق والاستئثار بواسطة مركز موحد لتركيب صارم هكذا تقدم الفلسفة الانتماء كرابط ضروري يربط أحد بآخر" (هايدغير، ٢٠١٥).

كما يعرفها علم النفس الاجتماعي: "أنها أداة تسمح في التفكير بالعلاقة بين السيكولوجي والاجتماعي عند الفرد، إنها تعبر عن محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، القريب والبعيد والهوية الاجتماعية للفرد تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعية، كالانتماء إلى طبقة جنسية أو اجتماعية، والهوية تتيح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية وتمكن المجتمع من التعرف عليه" (كوش)

تطبيقات الإعلام الجديد

شبكات التواصل الاجتماعي:

عرف مفهوم الشبكات الاجتماعية في علم الاجتماع، إلا أنه استعير للدلالة على ظاهرة اتصالية اجتماعية جديدة .حيث عرَف الفلاسفة

الإنسان بكونه "كائن اجتماعي بطبعه"، وذلك تعبيرا عن سعي الفرد الدائم أن يكون ضمن نسق عام أو ضمن جماعة معينة، تكفل له حاجة التواصل مع الغير ومفهوم جديد يطرح عليه في إطار هذه الفكرة سيتسم بالقبول في وسطه، وهذا ما حققته "شبكات التواصل الاجتماعي ."ويذهب العديد من الباحثين إلى كون مصطلح شبكات التواصل الاجتماعية لم يكن وليد المواقع المعروفة على غرار " الفيسبوك والتويتر"، ولا حتى مع الأنترنت بل كان ذلك في مقال الأنثربولوجي البريطاني "Barnes Johan" سنة ١٩٥٤ ،حيث تناول المفهوم النظر للشبكة الاجتماعية من خلال دراسته لمختلف العلاقات التي يشكلها الأفراد فيما بينهم، وتنظيماتها، لفهم مراحلها من التشكل إلى التطور، نهاية بآثارها على الأفراد. ومن بين التعاريف التي عرفت انتشارا كبيرا لدى الباحثين، التعريف الذي قدمه Ellison & Boyes، بأنها: "مواقع تتشكل على شبكة الويب، تتيح للأفراد بيانات شخصية عن حياتهم العامة أو شبه العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهات نظر الأفراد أو المجموعات من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل من موقع لآخر(boyd)" في حين ذهب بعض المختصين إلى تعريفها بأنها: "مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت ظهرت مع الجيل الثاني للويب 2web ، تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي يجمع بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبه انتماء ممثل في: بلد، مدرسة، جامعة، شركة ...الخ ،حيث تبادل الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية فيما بينهم، ومعرفة كل ما ينشرونه من أخبار كوسيلة التواصل بينهم. وهي وسيلة فعالة للتواصل الاجتماعي بين الأفراد سواء كانوا أصدقاء نعرفهم في الواقع أو أفراد نتعرف عليهم من خلال المواقع الافتراضية. (محمود، ٢٠١١: ٨٨).

وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي عبارة عن مجتمعات افتراضية تسمح للمستخدمين بالتواصل مع الآخرين واستقطاب مجموعة واسعة. (Karjalutob, 2008: 4). كما تعرف على أنها: فضاءات تسمح للأفراد بالتواصل مع الجماعات ودعوة الآخرين للمشاركة وتبادل المعلومات والأفكار، كما تشكل أدوات ومواقع التشبيك الاجتماعي خلفيات تجارية تستخدم في الإعلانات والتسويق وغيرها (jonstch, 4). لقد أصبحت الشبكات الاجتماعية هي البديل لأنشطة الماضي التقليدية، وحالة تفاعل مجتمعات اليوم مع البيئة والمجتمع والمحيط، وهي التي تسيطر على النظام الاتصالي بدرجة لافتة للنظر.

خصائص شبكات التواصل الاجتماعي

يعتبر الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي امتدادا للثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي يشهدها العالم في السنوات الأخيرة، بعد أن انتشرت الانترنت وتزايد عدد مستخدميها، وتعتبر الشبكات الاجتماعية نوع من تطبيقات الأنترنت التي تحظى بإقبال كبير من طرف المستخدمين، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن شبكات التواصل الاجتماعي تستمد بعض خصائص الانترنت وتكنولوجيا الاتصال الحديثة بغض النظر عن الخصائص التي تنفرد بها عن باقي التطبيقات. وفيما يلي نقدم تفصيل عن خصائص شبكات التواصل الاجتماعي

- التفاعلية: حيث يتبادل القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار، وتكون ممارسة الاتصال ثنائية الاتجاه وتبادلية، وليست في اتجاه واحد، بل يكون هناك حوار بين الطرفين.
- اللاتزامنية: معناها إمكانية التفاعل مع العملية الاتصالية في الوقت المناسب للفرد، سواء كان مستقبلا أو مرسلا.
- المشاركة والانتشار: وهي إتاحة عملية النشر للآخرين لكل شخص يمتلك أدوات بسيطة.
- الحركة والمرونة: حيث يمكن نقل الوسائل الجديدة كي تصاحب المتلقي والمرسل، مثل الحاسب المتنقل، وحاسب الانترنت، والهاتف الجوال، والأجهزة الكفيلة، والاستفادة من الشبكات اللاسلكية.
- اندماج الوسائط: باستخدام كل وسائل الاتصال، مثل النصوص، والصوت والصورة الثابتة والصور المتحركة، والرسوم البيانية ثنائية وثلاثية الأبعاد.
- الكونية: حيث أصبحت بيئة الاتصال عالمية، تتخطى حواجز الزمان والمكان والرقابة. أما عن الخصائص التي تنفرد بها شبكات التواصل الاجتماعي عن باقي التطبيقات الأخرى والتي ساهمت في انتشارها وتوسعها أكثر من غيرها هي ما يلي:
- التعريف بالذات: الخطوة الأولى للدخول إلى الشبكات الاجتماعية هي إنشاء صفحة معلومات شخصية وهي الصفحة التي يرعاها المستخدم ويطورها، ويقوم من خلالها بالتعريف بنفسه من خلال النص، الصور الموسيقى والفيديوهات وغيرها من الوظائف الأخرى، كما تسمح مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي للأشخاص بتعبئة وتنظيم علاقاتهم الاجتماعية وصفحاتهم الشخصية بالطريقة التي يحب أصدقاؤهم رؤيتهم بها.
- طرق جديدة لتكوين المجتمع: تسمح الشبكات الاجتماعية للأشخاص بخلق صداقات مع أصدقاء يبادلونهم الاهتمامات والمحتوى، وبالتالي فهي تساهم بشكل فعال في تجسيد مفهوم المجتمع الافتراضي المتواجد منذ بداية تطبيقات الانترنت، غير أن الشبكات الاجتماعية دعمت طرق جديدة للاتصال بين الناس. فمستخدمي هاته المواقع يخيرون في الاتصال بين مختلف الأساليب الرقمية مثل الوسم ""tags والتطبيقات المدمجة في مواقع الشبكات كما بإمكان الأشخاص الانضمام إلى مجموعات للتواصل حول الكتب التي أحبوها ... وغيرها من الخدمات.
- سهولة الاستخدام: من بين الأمور التي ساعدت بشكل كبير في انتشار الشبكات الاجتماعية هي بساطتها لذا فإن شخص يملك مهارات أساسية في الأنترنت يمكنه خلق وتسيير موقع شبكة اجتماعية فمن قبل كان بإمكان الأشخاص الحصول على تواجد عبر الشبكة من خلال الحصول على صفحات شخصية ولكن المشكل كان صعوبة خلق هذه الصفحات وتطويرها، وانشاء موقع غالبا ما يتحمل التكاليف. في حين أن الشبكات الاجتماعية مجانية ومفتوحة أمام الجميع فأغلبيتها تتيح للأشخاص التسجيل فيها في الوقت الذي يتم فيه التسجيل في مواقع أخرى من خلال إرسال دعوة من طرف أحد السابقين في الموقع.
- الاهتمام: هي شبكات تبنى من خلال مصلحة مشتركة مثل الألعاب، الموسيقى، سوق المال السياسة، الصحة والشؤون الخارجية وغيرها.
- المحتوى يصنعه الزوار: وتعتبر هذه الخاصية من أهم خصائص شبكات التواصل الاجتماعي، حيث أن المحتوى هو من صنع المتصفح صاحب الشبكة الاجتماعية حيث تسمح له ببناء بيئة مناسبة تحمل معلومات وأفكار وكل ما يخطر ببالهم ضمن توجه الشبكة العام وسياستها وقوانينها.

- التواصل بين المستخدمين: حيث تسمح للمستخدمين بالتواصل بطريقة متشعبة ومعقدة حتى أصبح يطلق عليها بمصطلح الشبكة، كما أن التواصل لا يتم إلا بين أشخاص معلومين ولهذا يشترط الاشتراك والتسجيل في موقع الشبكة الاجتماعية ويطلق على أولئك المشتركين اسم المستخدمين لأنهم بتسجيلهم ينتقلون من فئة الزوار إلى فئة مستخدمي الشبكة.
- التحكم في المحتوى المعروض: عندما تدخل موقع الكتروني فإن أول ما سيظهر لك في صفحات الموقع هو ما يريده أصحاب الموقع أن يظهر للجميع، حيث يتحكم أصحاب الموقع في المحتوى وهذا بالنسبة للمواقع العادية وشبكات التواصل الاجتماعي

أنواع شبكات التواصل الاجتماعي

انتشرت في السنوات الأخير الشبكات الاجتماعية وتنوعت خدماتها بين التواصل وإدراج الصور والموسيقى والفيديوهات وحتى السير الذاتية الخاصة بطلبات العمل وفيما يلي نماذج لهذه الأخيرة:

موقع الفيسبوك:FaceBook

أُطلِق موقع الفيسبوك Facebook رسمياً عام ٢٠٠٤م، والذي عمل على تأسيسه مارك زوكربيرج، ويعدّ الموقع منصّة اجتماعيّة عملاقة، تُتيح للمُستخدمين التواصل مع الأصدقاء، ومشاركة المنشورات والصور ومقاطع الفيديو، وإنشاء الصفحات والوصول إلى الألعاب المجانيّة وتشغيلها، وقد بلغ عدد مستخدمي الفيسبوك في العام ٢٠١٢م، مليار مُستخدم نَشِط، وهو عبارة عن شبكة اجتماعية تتيح إمكانية خلق مجموعات أصدقاء والتواصل معهم ونشر أفكارهم وأراءهم كما يتيح تبادل المضامين الإعلامية في شكل مقالات، فيديوهات وكذا أشرطة سمعية إضافة إلى خدمة تحميل المضامين الخاصة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يوفر الموقع إمكانية خلق صفحات بالسلع والشخصيات والمجموعات الفنية والترويج لها كنوع من الإشهار . ولا تتوقف خدمات الموقع عند هذا الحد حيث يوفر خدمات أخرى متنوعة على غرار خدمة تكوين المجموعات ذات الاهتمامات المشتركة ودعوة الأصدقاء للانخراط فيها. إضافة إلى ذلك يعد الفيسبوك الأكبر فيما يتعلق بتبادل الصور بين المشاركين فيه.

موقع تويتر: Tweeter

موقع "تويتر" هو شبكة اجتماعية يستخدمها الناس في مختلف أنحاء العالم للبقاء على اتصال مع أصدقائهم وأقربائهم وزملائهم في العمل من خلال الحواسيب أو الهواتف الذكية إذ يسمح" تويتر" بنشر الرسائل القصيرة التي قد تصل إلى١٤٠حرفا ويمكن قراءتها من طرف مستخدمي الموقع، ويمكن للمستخدم أن يعلن متابعته لأحد الشخصيات وفي هذه الحالة يبلغ هذا الشخص في حال ما إذا هذه الشخصيات قد وضعت مشاركة جديدة .ويمثل "التويتر" شبكة معلومات آنية مدعومة من الناس في مختلف أنحاء العالم تسمح بمشاركة واكتشاف ماذا يحدث الآن حيث يطرح الموقع في واجهته السؤال ماذا يحدث الآن ويجعل الإجابة تنشر إلى الملايين عبر العالم على الفور.

ويعتبر موقع "تويتر" من بين التكنولوجيات الجديدة للإعلام الجديد الذي يبيح نشر عدد من المعلومات على الأنترنت من مصادر رسمية وغير رسمية، ويعدّ "تويتر" موقع تدوين مصغر برز في نشر وتنظيم المعلومات حول الأحداث الكبرى.

موقع اليوتيوب: YouTube

وهو موقع مخصص للإعلام المرئي ويقوم على فكرة مبدئية شعارها بث بنفسك Yourself Broadcast ويعد أهم موقع على شبكة الانترنت للمشاركة في الفيديو المجاني، حيث يتيح إمكانية نشر الأفلام والبرامج التلفزيونية وكذا الفيديوهات والأفلام التي يقوم بإنجازها الهواة، عن طريق التصوير بكاميرات الهواتف المحمولة لنقل حدث ما غريب ومضحك ومثير، كما يتضمن الموقع أيضا أنواعا مختلفة من كليبات الفيديو التلفزيونية والأفلام الغنائية ومدونات الفيديو اليومية أو ما يطلق عليه Vidioblogs.

الإعلام الجديد وتأثيره على تشكل الهوية

الهوية الثقافية

تعتبر الهوية الثقافية ترجمة عن الحاجة إلى الاعتراف والتقدير للإنسان ففي الهوية الثقافية تعمل جدلية الذات والآخر ويستعيد كل تجمع بشري تأويل ثقافته من خلال اتصالاته الثقافية، وعلى الإنسان أن يحور في شخصه و ذاته و يتحول من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمية أشكال السلوك أما خارجيا فبفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يتقدم ويتطور وليس معطى جاهزا ونهائيا وهي تتطور إما في اتجاه التقلّص أوفي اتجاه الانتشار، وهي تثرى بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى.

هناك علاقة وطيدة بين الهوية والثقافة، إذ يصعب الفصل بينهما، فأيّ هوية تختزل الثقافة، فلا هوية دون خلفية ثقافية تستند عليها، والثقافة في عمق جوهرها هوية قائمة الذات. وقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة ،وهوما يعبر عنه بالتنوع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة، تتمازج عناصرها وتتفاعل مكوناتها، فتتمظهر في هوية واحدة، ونعطي مثالا على ذلك ولنأخذ الهوية الإسلامية فهي تتشكل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها، فهذه الثقافات التي تلاقحت بالثقافة العربية الإسلامية وامتزجت معها، هي مجموع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية متفتحة وغير منغلقة.

والهوية الثقافية هي القدر الثابت والمشترك من السمات العامة التي تميز حضارة الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية، أو القومية طابعا يميزها عن الشخصيات الأخرى، فهي الحلقة الأساسية التي تربط الإنسان بتراب وطنه، وبهذا المعنى فإن الهوية الثقافية هي النقيض للعولمة التي تعني تحويل العالم إلى قرية واحدة بلا حدود كما" تعرف الهوية الثقافية على أساس أنها القيم الثقافية ونمط الحياة والممارسات ،والسمات الأخرى لجماعة يشترك فيها الأفراد وينسبون أنفسهم إليها." (درويش، ٢٠٠٦: ٥٢) وبالتالي فالأفراد ينتسبون إلى جملة من القيم والممارسات والسمات ويشتركون فيها.

وللهوية الثقافية خصائص ومقومات عقلية وانفعالية وجدانية، وبالتالي السلوكية التي تشيع بين عدد كبير من أفراد قوم ما وتتخذ شكل النمط الذي يميزهم عن غيرهم من الأقوام، لذلك سنشير إلى أهم العوامل التي تؤثر في الأمم أو في هويتها الثقافية:

أولا: العامل الديني: إن الدين الإسلامي هو أحد مقومات الهوية الثقافية العربية، وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة يقوم أيضا بشحنها بالرموز والمضامين والقيم، وهو يفضي إلى تعبئة المخيال الاجتماعي برموز وقيم وعادات وتقاليد من شأنه استثمارها في

الحقل الثقافي.
ثانيا: العامل اللغوي: تعتبر اللغة وعاء الثقافة لأنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى أدبها من نثر وشعر وعلى تراثها الفكري من علوم ومعارف، ولذا فهي العنصر الأهم من العناصر البنائية لثقافة الأمة، وهي التي تهب الفرد انتماءه الحقيقي إلى مجتمعه القومي، وهي التي تجعل لكل مجتمع كيانه الثقافي والحضاري الذي يميزه عن سائر القوميات. "فاللغة العربية مثلا هي العامل الأساسي المحرك للهوية الثقافية العربية وشرط حصانتها و ديمومته" (عطية، ٢٠٠٩: ٤٧)
ثالثا: العامل التاريخي: يعد التاريخ بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، إذا كانت اللغة روح الأمة وحياتها ومحور قوميتها وعمودها الفقري، فالتاريخ يكون للأمة شخصيتها، وإذا كانت لكل أمة هويتها أو نظامها الذي ينمو ويتطور بفعل ظروف الزمان والمكان جميعا، أو بفعل جملة الأحداث التي يمر بها الفرد والمجتمع على حد سواء، فإن التاريخ يشكل الروابط القائمة بين أفراد المجتمع الواحد من جانب وبين المجتمع وغيره من المجتمعات من جانب آخر.
رابعا: العامل الاجتماعي: إن وحدة أمة من الأمم تتوقف بالضرورة على وحدة نظامها الاجتماعي المكون من القيم والعادات والتقاليد وكل ما يتعلق بالمسائل الاجتماعية من علاقات لأفراد داخل الأسرة وخارجها، ولا شك أن الحياة القائمة على عوامل المحبة والألفة والوحدة الاجتماعية تؤدي إلى التعاطف والتماسك الاجتماعي، ومن هنا كان للعامل الاجتماعي دور هام في تدعيم الهوية الثقافية.
إن الهوية الثقافية كيان ينمو ويتطور، وليس معطى جاهزا ونهائيا، فهي تتطور إما في اتجاه الانكماش أو في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى
فكيف تؤثر شبكات التواصل الاجتماعي أو الإعلام الجديد على الهوية الثقافية؟

الإعلام الجديد وتأثيره في الهوية الثقافية:

هناك عدة جوانب يؤثر فيها الإعلام الجديد في الهوية الثقافية، ويمكن أن نورد أهمها فيما يلي:
أولا: التأثير على الانتماء: الانتماء هو أعلى سلم في الهوية كسمة تعبر عنها، واستخدام وسائل الإعلام الجديد مع الكثرة يمكن أن يحدث تفككا في الانتماء بكل أبعاده، حتى مع المكان والذي يمثل تمازجا بين الطبيعة والقيم والثقافة وأنماط التعامل مع البيئة والآخر والعمران مع استخدام الأنترنت ووسائل الإعلام الجديد عموما فإنه قد تراجعت أهمية عامل المكان المعايش كمتغير أساسي في تأسيس ذات الفرد وانتمائه و شخصيته في المجتمع المعاصر إلى حد كبير، بمعنى هناك قضاء على الانتماء للمكان، هذا المكان الذي يمثل الوطن والأرض، فالفرد أصبح ينتمي في إطار مفهوم العولمة إلى مجتمعات وليس إلى مجتمع، ولأديان وليس لدينه، ولثقافات وليس لثقافته، إنه ما أطلق عليه " مواطن الشبكة".
ثانيا: التأثير في اللغة: يتفق الباحثون على اختلاف مذاهبهم في العلوم الإنسانية والاجتماعية على أن "ثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها، واللغة بلا منازع تبرز السمات الثقافية بأنواعها" (رحومة، ٢٠٠٥ :٣٤٤) واللغة العربية تمثل أحد مكونات الهوية الثقافية العربية وخير معبر عنها. هذا ما يؤدي إلى طرح قضية استخدام الوسائط الجديدة وتأثيره في اللغة العربية، فالتأثير القائم في هذه الوسائل كذلك يطرح إشكال اللغة المستخدمة في التطبيقات أو المجتمع العربي الخدمات التي يوفرها هذا الإعلام، والتي يستعمل فيها الشباب مفردات لغوية دخيلة، وكذا استعمال حروف لاتينية لكتابة كلمات عربية، واستخدام اللهجات الأمر الذي من شأنه إضعاف حضور اللغة العربية لدى المستخدمين، الذين خلقوا لأنفسهم لغة خاصة بهم.
ثالثا: التأثير في الدين الإسلامي: الدين الإسلامي من معالم ومرتكزات الثقافة العربية، ولقد أدى الإسلام دورا هاما في نشر الهوية والثقافة العربية، والاعتقاد الديني هو الأساس الذي تقوم عليه الثقافات، و إذا كان هناك اعتداء على الخصوصيات الثقافية وملامح الهوية من خلال تكنولوجيا الاتصال الحديثة، فالأكيد أن هناك اعتداء واضح عبر هذه الوسيلة على أحد معالم الثقافة وعناصرها " الدين "فالإعلام الرقمي وما يحتويه من مضامين سلبية تسعى إلى تشويه صورة الإسلام عن طريق الترويج للأفكار الاستشراقية الموبوءة عن التاريخ الإسلامي، واتهام المسلمين بالخروج عن قيم التحضر وقوانينه ولجوئه إلى العنف وبالتالي ما ينشر من أفكار منحرفة ضد الدين، يهدف إلى التشكيك في المعتقدات الدينية، واستبعاد الإسلام.
رابعا: التأثير في الأخلاق: لا أحد ينكر التأثيرات الأخلاقية للإعلام الجديد، حيث أثبتت العديد من الدراسات أن نسبة كبيرة من مستخدميه يتعرضون للمواقع الإباحية بالدرجة الأولى، وهذا المشكل يأتي في المرتبة الأولى من بين مخاطر الإعلام الجديد، حيث أخذت الإباحية بشتى وسائل عرضها من صور وفيديو وحكايات تنشر وتصبح في متناول الجميع، ولا جدال أو شبهة في أن تلك الإباحية الإلكترونية من أخطر ما يمس بفضيلة الحياء والقيم الدينية والخلقية التي ينبغي أن يتحلى بها كل فرد وفي أي مجتمع.
خامسا: التأثيرات الاجتماعية: وتأتي هذه التأثيرات نتيجة لكثرة الاستخدام، والتي تودي إلى إضعاف بنية التفاعل الاجتماعي، فكثرة استخدام الزمن الإعلامي يؤدي إلى التأثير وربما التقليل على الزمن الاجتماعي، بمعنى آخر التأثير في الوقت المخصص للتواصل مع الأسرة والأصدقاء، وهذا ما يؤدي إلى العزلة عن الآخرين، وما يزيد ذلك سوءا، طبيعة الاستخدام المنفرد لهذه الوسائل، وبالتالي التباعد بين أفراد الأسرة وكذا المجتمع، وغياب الاتصال الشخصي بينهم، وهذا كله يؤثر في التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع، وانحصار العلاقات الاجتماعية، و جمود الحراك الاجتماعي، مما يضعف علاقة الفرد بهويته ومجتمعه
إن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي له تأثير مباشر على الهوية الثقافية بأشكال مختلفة ومتعددة نتيجة غياب الرقابة على الاستخدام إذ أصبح الشباب خاصة لا يستغنون على الفضاء المستحدث الافتراضي الذي اتخذ كفضاء لتشكل الذات فتشكل الذات الافتراضية تبيح مقومات وهويّات دخيلة فرضتها العولمة بتجلّياتها المختلفة. وبدءا بالمكون الاساسي للمجتمع وهو الدين كمقوم أساسي للهوية ومحاولة تجريده من قيمه ومعانيه السامية وصولا إلى اللغة الغريبة والهوية المستعارة والشخصية الوهمية ... كل ذلك شكّل نوعا من الاغتراب عن العالم الواقعي نتيجة استلاب مقوم اللغة العربية مثلا من الهوية. كما ساهم الإعلام الجديد بشكل كبير في اضعاف الشعور بالولاء للأمة العربية والانصهار في مقابل ذلك في الأمم الغربية الأخرى. كما عمل على ترسيخ هويات دخيلة افتراضية موحدة وغير مرتبطة لا بالمكان ولا بالزمان ويؤدي ذلك الى الانصهار في الهوية الثقافية

الموحدة للقرية الكونية التي املتها مقتضيات العولمة والتي تفتقر للمقومات الأساسية التي تقوم عليها الهوية داخل المجتمعات كمرجعية الدين واللغة وبالتالي فهي تشكل تهديدا يتمثل في الاختراق الثقافي للهوية في ظل التسارع التقني الذي نمرّ به في أوج الثورات الرقمية حاليا.

الإعلام الجديد والهوية من خلال الحتميات الثلاث: التكنولوجية، الاجتماعية والقيمية:

تتنوع الأطر النظرية التي يمكن من خلالها الاقتراب من موضوع علاقة الإعلام الجديد (كتجلي من تجليات تكنولوجيا الاتصال الحديثة) والهوية (كمحدد محوري للمنظومة الثقافية لأي مجتمع)، وسنتطرق في هذا الإطار إلى ثلاث حتميات: الحتمية التكنولوجية، الحتمية الاجتماعية والحتمية القيمية

الحتمية التكنولوجية Technological determinism

يرى مارشال ماكلوهان أن طبيعة وسائل الاتصال التي تسود في فترة من الفترات هي التي تكون المجتمعات أكثر مما يكونها مضمون الرسائل الاتصالية، ويعتقد ماكلوهان فيما يسميه الحتمية التكنولوجية شأن المخترعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر على تكوين المجتمعات. وأن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ لدى الشعوب، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي، وإنما في الحواس الإنسانية أيضا. ولن نستطيع فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات دون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام،" فأي وسيلة جديدة هي امتداد للإنسان، تؤثر على طريقة تفكيره وسلوكه، فكاميرا التلفزيون تمد أعيننا، والميكروفون يمد أسماعنا، والآلات الحاسبة توفر الجهد العقلي وتؤدي إلى امتداد الوعي." (مكاوي، ٢٠٠٣: ٢٥٧). ولعل مقولة ماكلوهان الأشهر "القرية العالمية" تختزل وتختصر رؤيته فيما يخص دور تكنولوجيا الاتصال في التقريب بين الهويات المختلفة والجمع بينها حد التماهي تحت بيئة افتراضية واحدة تشبه القرية. ولكن ملاحظة موضوعية متأنية تفند هذا الطرح فالعالم لا ينمو نموا يفرز التلاحم والالتئام. والشواهد على هذا الإقرار واضحة من اتساع النزاعات والحروب والعنف والإرهاب ومعاداة هويات عديدة كمعاداة الحضارة الإسلامية والغرب وأمريكا وغيرها من أشكال المعاداة ورفض الآخر. وقريبا من فكر ماكلوهان، انشغل المحلل النفسي فيليكس غاتاري طوال حياته بعلاقة التكنولوجيا في إنتاج الذاتية، "وكان يعتقد أن الأدوات التكنولوجية للإعلام والاتصال، بدءا بالمعلوماتية و"الروبوتيك" مرورا بوسائل الإعلام، تتدخل في "قلب ذاتية الإنسان لا على مستوى ذاكرته وذكائه فقط، بل على مستوى شعوره ومؤثراته ولا وعيه أيضا" (ماتلار، ٢٠٠٥: ١٩٦) .وقد راهن الباحث بيار ليفي على بروز أشكال جديدة للكتابة تتطلبها "المرونة الرقمية" ووضع آماله في ميلاد "ذكاء جماعي" بفضل الطرق السيارة للمعلومات لعصر ما بعد وسائل الإعلام (ماتلار، ٢٠٠٥: ١٩٤) ويتضح من هذا الاعتقاد إعطاء دور المتغير المستقل لتكنولوجيا الاتصال الحديثة (الإعلام الجديد كأحد تجلياتها)، بينما تتخذ الهوية موقع المتغير التابع. فالإعلام الجديد حسب هذه الحتمية يمكن أن يحدث تغييرات جذرية على هوية الفرد وتنشئة هويات جديدة تبعا للآليات الجديدة التي يستخدمها ويتفاعل معها.

الحتمية الاجتماعية Social determinism

نجد توجها آخر يقول بالحتمية الاجتماعية مقابل توجه الحتمية التكنولوجية، على أساس أن العناصر والقوى الاجتماعية بأنواعها هي التي تمتلك زمام تطور التكنولوجيا بشكل أو بآخر. وتؤثر في تطويرها وتتويجها. ومن أهم هذه العناصر، الثقافة بعمومها. ويعتقد جيمسون بعدم جوهرية وأساسية التكنولوجيا في تطور الثقافة، إذ يعرب عن عدم استعداده للاعتراف بدور التقنيات، وخاصة تلك المعلوماتية، في عمليات التغير الاجتماعي والثقافي، ويرى أن تحليل تأثيرات العامل التكنولوجي على الثقافة يولد بشكل حتمي تحديدية تقنية. ويرى أن النظريات التي فسرت الثورة الصناعية كنتيجة لإدخال الآلة البخارية، والتي تقدم في هذه المرحلة، ذات التفسيرات حول التقنيات المعلوماتية الجديدة على المجتمع لا تأخذ في الحسبان العوامل الإنسانية للطبقات الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي للإنتاج (مهنا، ٢٠٠٢: ٥٤٤). ويمكن التدليل على هذا التوجه أن اختراع الآلة البخارية قد سبقته حقبة تاريخية مهمة مهدت لها وللثورة الصناعية وهي عصر الأنوار. وتعتبر الماركسية من أهم المدارس التي أعطت لمتغير الثقافة الاهتمام الرئيسي في توجهاتها الفكرية انطلاقا من محوريتها في منظومة أي مجتمع. ويعتبر هربت ماركيوز وكتابه (الإنسان ذو البعد الواحد) أحد العلامات البارزة لهذا التوجه، إذ أشار إلى أن مراحل التقنية، وما قبل التقنية تشترك جميعا في مفاهيم أساسية معينة حول الإنسان والطبيعة، والتي تمثل وتعبر عن استمرارية الحركة والتقليد للنظام الغربي.. وأن الخط الفاصل بين المشروع التكنولوجي وما قبل التكنولوجي يكمن في نمط أو طريقة الخضوع لضرورات الحياة وتوفير المعيشة، أي كيف ينظم وينتج أساليب جديدة للحرية، أو عدمها(...) فالتقنية في فكر ماركيوز منتج اجتماعي ينتج ويتطور بفعل العملية الاجتماعية الجدلية (رحومة، ٢٠٠٥: ٨٤) . وقد ذهب في مقال صدر له عام ١٩٤١ بعنوان "بعض الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا الحديثة" إلى ان التكنولوجيا المعاصرة تشكل أداة لتنظيم وإدامة (أو تغيير) العلاقات الاجتماعية، ومظهرا من مظاهر انماط السلوك والفكر السائد، ووسيلة للسيطرة والهيمنة. وفي مجال الثقافة، تنتج التكنولوجيا ثقافة شاملة تعوّد الأفراد على الامتثال لأنماط التفكير والسلوك المهيمنين، وبالتالي توفر أدوات قوية للرقابة الاجتماعية والهمينة أما فينبرغ فيرى "أن التكنولوجيا ليست حتمية وليست محايدة، ويجادل بأن الديمقراطية تتطلب تغييرا تقنيا راديكاليا، دون إعادة تركيب التقنية وبنائها" (مهنا، ٢٠٠٢: ٨٧) و"واجتماعيا لا يمكن حصول تغير راديكالي للتقنية، والعكس أيضا صحيح . ويتساءل الباحث الجزائري الصادق رابح: "هل هناك حتمية يمارسها المجتمع في علاقته بالتكنولوجيا؟ هل تم استحداث الانترنت مثلا، اعتمادا على وجود مؤسسات سابقة ومنتظمة ضمن نمط شبكي؟" (رابح، ٢٠١٣: ٤٣) ويجيب عن هذه الأسئلة بالنفي ذلك أن الظواهر حسب رأيه متلازمة ولكنها مستقلة عن بعضها البعض في نهاية المطاف.

مع ذلك، فإن المؤسسات وجدت في التكنولوجيا الاتصالية والإعلامية الحديثة آليات عملية لتطوير وتدعيم أنماطها التنظيمية والأدائية الجديدة، مثلما حصل في القرن التاسع عشر عندما تم اختراع التلغراف. وفي نقده لهذا التوجه يرى لاندو "أن إنكار التأثيرات المجتمعية للتكنولوجيا الرقمية تنبع من فعل غير إرادي يتمثل في أن عدم الاعتراف بان ثقافات التاريخ الإنساني، تنبع من فعل غير إرادي يتمثل في أن عدم الاعتراف بأن اختراع التلفزيون يمكن أن يرتبط بجوانب أخرى للثقافة يؤدي إلى تحويل

التقنية آليا إلى ضرب من الغول الفكري والمحرمات التي لا يمكن الحديث عنها علنا " (مهنا، ٢٠٠٢: ٥٤٤).

يمكن التعليق على هذا النقد بأنه يصف الماركسيين وتجاهلهم غير المفهوم لدور التقنية على أنه نوع من غض البصر عن حقيقة معروفة لدى الجميع، بهدف نفيها.

الحتمية القيمية value determinism

أما عبد الرحمن عزي صاحب نظرية الحتمية القيمية في الإعلام فيرى أن بعض الباحثين بالغوا في القول بأن تكنولوجيا الاتصال الحديثة عموما والإعلام الاجتماعي خصوصا ينشئ فردا ذو وعي عالمي وانتماء إلى المجموعة العالمية على حساب المجموعة المحلية. فالواقع والشواهد التاريخية لا تنسجم مع هذا التحليل ذلك أن هذا الانتماء يكون رمزيا وأن الفرد في نهاية الأمر يلجأ في البحث عن ذاته إلى المجموعة العائلية أو القبلية أو العرقية أو السياسية أو الدينية. "وما أدل على ذلك النزعات القومية التي نمت في عهد ازدهار الفضائيات والإعلام الدولي. فالإعلام الاجتماعي يوسع من دائرة الوعي بالعالم ويجعل الفرد عالميا دون أن يزيل الانتماء إلى الواقع المحلي" (عزي، ٢٠٠٣: ١١٢) .

هذه الرؤية المتميزة تؤكدها التجربة التاريخية الاجتماعية التي بينت أنه لا يمكن بناء أي نمط اجتماعي واع ومجتهد بدون نظام رمزي من الاتصال. فالمجتمع يستمر في الوجود ليس فقط بالاتصال، ولكن في الاتصال الدال الحامل للشخصية القيمية ذات الأبعاد الإنسانية والحضارية. ويرى نصير بوعلي أحد أنصار هذه النظرية أن القرية الكونية التي تحدث عنها ماكلوهان هي في نهاية الأمر مصممة على النمط المعماري القيمي الغربي، وفي المقابل هناك قرية المجتمع الإسلامي الذي ينبغي أن تكون وفق النمط المعماري القيمي العربي الإسلامي." فالنمط القيمي الغربي مبني على كل ما هو مادي استهلاكي يزاحم كل ما هو قيمي معنوي في كتلة المجتمع الإسلامي، بل يعمل على اندثاره ومحوه من الوجود" (عزي، ٢٠١١: ١٨٤). ويفترض عزي أن الاتصال المرتبط بالتقنيات الحديثة للاتصال، وخاصة الاتصال المرئي، يكون هادفا ودالا حضاريا إذا مكن الفرد من تحقيق ذاته غير المجدية والمتكاملة في أبعادها المعنوية والجسدية، والمجتمع من تحقيق الأهداف الرسالة والمعيشية المرتبطة بثقافته وبأصوله ومصالحه. ورغم أن عبد الرحمن عزي يوافق ماكلوهان في أن تكنولوجيا الاتصال قد غيرت بشكل جذري سبل تعاملنا مع بعضنا البعض والطرق التي نكتسب بها تعليمنا ومعاشنا والأطر التي نحيا في إطارها عامة. غير أنه يرى أن "غياب المتغير الذي سماه بالرؤية القيمية التي يمكن أن توجه هذه التكنولوجيا جعل هذه الأخيرة تكتسب حياة خاصة بها بعيدة عن أي إشراف ثقافي ينبثق تلقائيا من البنية القيمية الحضارية، الشيء الذي أنتج ما أسماه عزي بالذهنية التقنية."(عزي، ٢٠٠٣: ١٤٤) إن التنمية الحقيقية حسب عبد الرحمن عزي تستدعي دمج التقنية في المنظور الثقافي القيمي للمجتمع، وذلك يتطلب إدخال الثقافة في التقنية وليس تحويل الثقافة إلى تقنيات. وتعطي هذه العملية الأولوية الفائقة للتحول الثقافي وتضمن الإشراف والتوجيه القيمي للتكنولوجيا. الأمر الذي يتطلب ما أسماه بالكفاءة القيمية التي تعني القدرة على أن يستوعب الفرد ثقافته ونظامه القيمي وتكييف هذه الكفاءة مع الوضعيات أو المحيط الجديد.

وملخص القول في هذا الإطار، لا يمكننا أن ننكر بأن لكل من الحتميات الثلاث، التكنولوجية، الاجتماعية والتقنية، (رغم قول الكثيرين بنهاية الحتميات)، وجهة نظرها المهمة والمعقولة في تفسير العلاقة بين الهوية وتكنولوجيا الاتصال الحديثة (الإعلام الجديد في هذه الحالة). فالحتمية التكنولوجية لازالت تستهوي الكثير من الباحثين لتطبيق افتراضاتها على المستجدات التي تشهدها تكنولوجيات الاتصال الحديثة، كما أن للحتمية الاجتماعية أنصارها الذين لا يتوانون في الدفاع عن أولوية المتغير الثقافي والاجتماعي. ولكننا إذا تأملنا الحتمية القيمية فإننا نلحظ توجهها التوفيقي بين التوجهين الآخرين ومحاولتها التقريب بينهما، فعبد الرحمن عزي لم ينفي دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في التغييرات الكبيرة التي أحدثتها على الأنماط الاجتماعية والثقافية ومن ثمة على الهويات، ولكنه في المقابل حذر من تحول الثقافة إلى تقنية ورأى بضرورة الإشراف والتوجيه القيمي للثقافة، هذا مع الإشارة إلى أن التكنولوجيا عموما هي مظهر من مظاهر الثقافة وتجل من تجلياتها.

الإعلام الجديد كمنتج لهويات جديدة: الهوية الافتراضية

إن قيام مجتمعات افتراضية على الانترنت من خلال تطبيقات الإعلام الجديد المختلفة بهذه الأعداد المذهلة والمتزايدة ودون قيود، يدعونا إلى التساؤل حول الانعكاسات المحتملة على المشتركين فيها، أو بتعبير أصح "على أفراد هذه المجتمعات". خاصة إذا عرفنا أن كل النشاطات المعروفة في المجتمعات التقليدية، يمكن القيام بها في هذه المجتمعات الافتراضية، بشكل أسرع، وفعالية أكبر. بل إن المسافات المادية أو الجغرافية المعيقة لم يعد لها وجود في هذه المجتمعات، فقد تم استبدالها بما يمكن تسميته بالمسافات الاجتماعية. كما أن "مقولة الفضاء الاجتماعي ذاتها قد تغيرت فلم تعد للفضاء حدود واضحة لكي تحصن وتُصان بمعيارية ثقافية تجمع عليها الذوات الفردية، إنها محل نزاع وتفاوض بين فاعلين اجتماعيين، لكل منهم رؤيته ومطالبه التي يتحرك من أجلها" (رحومة ع.، ٢٠١٠)كما أن التواصل التزامني أو غير التزامني عن بعد يمنح الانترنتين إمكانية اختيار لحظة التواصل وتمديدها والحفاظ عليها دون أن يتحول ذلك إلى تواصل طقوسي كاللقاء وجها لوجه، يأخذ مساره ضمن فضاء فيزيائي. إن الفرد ضمن هذا الحيز التواصلي الافتراضي يتحكم في تقديم ذاته بطريقة مغايرة من لو أن التفاعل كان مباشرا وضمن فضاء فيزيائي. وقد أنتج ارتباط الفرد بالحاسوب حسب الدكتور علي رحومة ذاتا جديدة أسماها بـ "الإنسوب" "أي "الإنسان الحاسوب" الذي يشير إلى مركب مبرمج آليا في حالة من التواري والتماهي والتمظهر، في بنيته الخاصة من الأرقام الثنائية (البريدي، ٢٠١٠: ١٩). "هذا التماهي يساهم بشكل أو بآخر في انحسار التمثل التقليدي لحضور الإنسان لحساب الحضور الجديد وهو ما يؤرخ لمرحلة جديدة قد تكون ثورية تماما. "فتاريخ الإنسان لم يدخل قط في تركيبته الاجتماعية، عنصر من خارج المجتمع البشري والمركب الطبيعي للإنسان الفرد. أما الآن في زمن مجتمع الانترنت، فالمركب الإنساني لم يعد فردا علما، بل فردا مركبا (رحومة ع.، ٢٠٠٥: ٣٠٦)" الإنسان/ الآلة . وهو ما يثير تساؤلات جادة وعلى مستوى كبير من الأهمية حول الهوية الجديدة التي تنطرح أمامنا في مشهد غريب غير مسبوق. إنها الهوية الافتراضية، هوية متحركة "ديناميكية" يكونها الفرد البشري في مجتمع الانترنت. وهي في هذا المجتمع تتسم بملامح رئيسية أو بالأحرى مقومات مظهرية لوجودها في فضاء السايبر cyber هي مصطلح درج

استخدامه لوصف الفضاء الذي يضم الشبكات المحوسبة وشبكات الاتصال والمعلومات وأنظمة التحكّم عن بعد). ولها مطلق الحرية أن تختار وفق التقنيات المتاحة خصائص تمظهرها، كشخصية حوارية عبر قنوات الانترنت بأنواعها. وقد تكون فرد/ جماعة وثانيا، هي شخصية قابلة للتغير والتبدل في أي لحظة بحسب اختيارات الفرد الإنساني نفسه.

وثالثا، هي أيضا قابلة للتغير والتبدل حسب اختيارات أطراف أخرى، ربما شخصيات "أنترنتية" أخرى تتقمص هويات غيرها. أو من قبل اختراقات برامجية، أو توظيفات متنوعة لهوية متنقلة لا تستقر على وضع خصائصها.

فهذه الهوية ليست ذات حدود جغرافية وتسبح في فضاء الإنترنت وتتفاعل مع الآخرين عبر النص أو الصوت أو الصورة أو الرموز. والهوية الافتراضية تتلخّص في ثلاثة مستويات

- الهوية المعلنة: وهي المعلومات التي يقدمها المستخدم قد تكون حقيقية أو مزيفة.
- الهوية النشطة: هي النشاط الذي يقوم به المستخدم في العالم الافتراضي.
- الهوية المحسوبة: وهي حالة المستخدم في أثناء اتصاله بالإنترنت (أون- لاين) أو (أوف- لاين)

هذا الواقع الجديد جعل البعض يتوقع أن ينتهي زمن التنوع الثقافي، ومن ثم إعادة تشكيل هويات جديدة في ظل ثقافة غربية مهيمنة، هويات رقمية تفرز مزيجا جديدا من السمات والتفاعلات والتمظهرات الفردية والجماعية في فضاء سايبيري لا حد له ولا قيد عليه. فما تتيحه هذه الشبكات من الدخول بشخصيات افتراضية، تدفع الفرد إلى تقمص ذات أو ذوات مثالية، أو "عالمثالية" كما سماها الباحث سعد البازعي، وهي هوية هجين تجمع بين الثقافة المحلية من لغة ودين وموروث ثقافي وشعبي، وثقافة أجنبية بكل مكوناتها. وهذا ما يهدد في الأخير هوية الفرد الأصلية من خلال انتمائه للمجتمع الأصلي، ما يطرح في مرحلة ثانية تساؤلا عن مدى شرعية انتمائه لهذا المجتمع (التقليدي). إن الانتماء إلى هوية "شبحية" سيؤدي حتما إلى انحسار المخيال ومن ثم الإبداعية وابتكار الصور الذهنية لحساب المعرفة السطحية الهشة والصور المعلبة والمصطلحات الفارغة من المدلولات ذات القيمة. كما يؤدي إلى تكسير الطابوهات الاجتماعية والثقافية وإضعاف الحساسية اتجاهها على حسب تعبير المفكر عبد الرحمان عزي. وهو الأمر الذي جعل "جيل الانترنت" يظهر كجيل ثنائي الهوية، فهو من ناحية هشّ وغير راشد، ويحتاج دائما إلى الأخذ بيده في مجاهل التكنولوجيا الحديثة لتأسيس علاقة "سوية" بها، ومن ناحية أخرى فهو جيل فضولي، ومعتمد على ذاته، وليس امتثاليا وذكيا،" ويملك القدرة على التكيف، ويميل إلى تثمين ذاته، إضافة إلى كونه صاحب رؤية شاملة في توجيه نفسه". (البريدي، ٢٠١٠: ١٩)

فالهوية الافتراضية إذن هي مجموع تمُثلات الشخص لذاته كفرد مستقل بذاته، وككائن له وجوده في العالم الافتراضي -شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك-، وطرائقه في التواصل مع الآخرين ومع المجموعات الاجتماعية الافتراضية، وتجاربه وتفاعلاته الافتراضية عبر الفيسبوك.

يمكن تلخيص ما سبق في أن الإعلام الجديد يتيح للأفراد مساحات واسعة لتشكيل هويات افتراضية حسب السياق الافتراضي الذي يتواجدون فيه، وقد يتلاعبون بسماتهم الأصلية وبتمثلاتهم لهوياتهم لإنتاج وتقمص ذوات متعددة، تشبع رغباتهم وحاجاتهم النفسية والثقافية، ولكنها قد تؤدي إلى قلق الانتماء إلى جماعة ثابتة المعالم وواضحة المرجعيات. وهناك يكمن التأثير السلبي في تشتيت الذات ودفعها إلى اللايقين واللاإنتماء.

وهناك من يرى أن الهوية الافتراضية هي انعكاس للهوية الحقيقية (عندما تكون المعلومات المعطاة صحيحة). كذلك تسمح الهوية الافتراضية أن يكون الفرد أكثر نشاطًا عن الهوية الحقيقية، وذلك لأنها تتجاوز الحدود من دون القيود الموجودة في الواقع. وتخرج هذه البيئة الذات الداخلية للفرد، إلا أن هذه المجتمعات تسمح لمجهولي الهوية بالنشاط والتفاعل. إذن للهوية الافتراضية فوائد وسلبيات متعددة، فهي تمنح الحرية للمستخدم وكذلك توسع الواقع لديه من الناحية الإيجابية إلا أن سلبياتها أكثر: فالمستخدم لا يبالي في الكشف عن خصوصياته وما يترتب عليه من عواقب، ازدواجية الشخصية أو انفصامها للفرد بين الواقع والافتراض.

الفيسبوك، نافذة الانفتاح الهوياتي

أثبتت الكثير من الدراسات أن الشبكات الاجتماعية والفاسبوك خصوصا غيرت الوجه العام لبناء الهوية من خلال سماحها لمستخدميها بإعادة هيكلة صورهم عن ذواتهم بالانتقال من هويات مؤسسة مكانيا إلى أشكال هجينة ومرنة للهوية بفضل الخدمات التي توفرها من تدوين وألعاب ودردشة والانضمام إلى مجموعات معينة، وغيرها...، حيث تعتبر هذه الخدمات تجارب افتراضية يطور من خلالها مستخدمو الفيسبوك مفهومهم لذواتهم وهوياتهم الملحقة.

إذ تسمح الإنترنت للمستخدم، من خلال الشبكات الاجتماعية -الفيسبوك- بأن يستعير ويجرب ما شاء من الذوات، دون أن يتعرض لعقاب فعلي، بل إن الأمر يذهب إلى أبعد من ذلك، فالأدوار التي يتقمصها الإنترنت في فضاء الشبكات الاجتماعية هي في أغلب الأحيان متناقضة مع الأدوار الفيزيائية والاجتماعية التي يمكن أن يقوم بها في حياته الفعلية.

إذن ومن خلال السياق الاجتماعي للفيسبوك، يمتلك المستخدمون قابلية الكشف عن مواصفات وخصائص لا تتراءى في الظاهر، حيث يركَز المستخدم على جانب من جوانب هويته لتطوير شهرته الإلكترونية، ومن هنا بالتحديد تبدأ عملية بناء الهوية الرقمية identity-online construction، وتتطور من خلال دعوة الأشخاص والمعجبين الذين يشتركون في هذه الجوانب، وبهذا تطور وتدعّم شبكة الأصدقاء العلاقات المتبادلة لتقدير الذات والانتماء لشبكة الفيسبوك.

ففي البيئة الرقمية يسعى المستخدمون لخلق التأثير، لإشباع الفضول، لخوض مغامرات، وللتواصل والتعُلم من خلال الاتصال بالشبكة، وفي هذه التجربة التفاعلية يتمكن المشتركون أكثر من أي وقت مضى من المشاركة والتواصل الرقمي، صانعين بذلك هويات رقمية أكثر تعقيدا وأكثر تمثيلا للعلاقات التي تسم الحياة الواقعية.

وبذلك فإنّ التمازج بين الذوات الافتراضية والذوات الفعلية لها انعكاساته على طبيعة الهوية الفردية، إذ ليس من المؤكد أن القفز والاستحواذ على مجموعة من الذوات الافتراضية سيساعد الفرد على تعميق أناه -ذاته-، إنما يجعل هذا القفز من الهوية غير محددة العوالم نهائيا وبالتالي يجعل الأنا تعيش في وضعية اللا يقين.

الإعلام الجديد كداعم للهويات المحلية:

هل يدعونا هذا التوجه إلى التشاؤم فيما يخص مستقبل التنوع الثقافي وحماية الهويات المحلية من الاندثار؟ رغم وجود الكثير ممن يؤمنون بهذا المصير، إلا أن هناك فرقة أخرى من الباحثين تجيب بالنفي على هذا السؤال، لأن الانترنت والإعلام الجديد قد منح فرصة كبيرة للأصوات الضعيفة بالبروز والنضال في سبيل التعبير عن الذات وإيصال صوتها واهتماماتها كما لم يكن متاحا لها من قبل قط. وإن كانت الإشكاليات التي ارتبطت بالهوية مثل (الهوية متعددة الأبعاد، الأقلية والأغلبية، الهوية بين الانغلاق والانفتاح، الهوية والعولمة،...) ستستمر من خلال الفضاءات الجديدة التي تتيحها الانترنت والإعلام الجديد، وقد تكون بوتيرة أسرع وبحدة أكبر، ولكنها تبقى إشكاليات قديمة قدم الإنسان، وهي جزء لا يتجزأ من وجوده واستمراره في هذه الحياة. أما الإعلام الجديد فقد عمل على توسيع فضاء المرجعيات الثقافية، وربط أفراد وجماعات ما كان لهم أن يلتقوا ويتحاوروا ويتفاعلوا لولا وجودها. إنها أداة فاعلة في تجزئة وتقسيم الأفراد إلى جماعات افتراضية، تلتقي حول اهتمامات مشتركة، بالرغم من أنها لا تملك القدرة على بناء وعي جماعي" (رابح، ٢٠١٣: ٢٩). وقد أشار دوغلاس شيلر في كتابه (Networks community New) إلى دور شبكات التواصل الاجتماعي على الانترنت في تشكيل جماعات تناضل لإعلاء صوت هوياتها المحلية، وذلك من خلال الآليات التالية: - الربط بين أعضاء جماعة معينة، وتشجيع النقاش، وحل المشاكل المشترك

- تنظيم المعلومات ووسائل الاتصال ذات الأهمية الخاصة لحاجات الجماعات، ولمواجهة مشاكلها بناء على جدول زمني
- مشاركة قاعدة عريضة من المواطنين، بمن فيهم نشطاء المجتمع، والقادة، والجهات الراعية لأنشطتهم، ومقدمو الخدمات، وذلك بشكل مستمر
- العمل على إدماج جميع أعضاء الجماعة
- توفير الخدمات الأساسية.
- دعم الثقافة المحلية.

إن ما أتاحه الفيسبوك من إمكانية لإنشاء مجموعات خاصة، لهو في حقيقة الأمر خدمة غير مسبوقة للجماعات المتشابهة للالتقاء ببعضها البعض ومناقشة القضايا التي تهمها دون سواها. و نذكر على سبيل المثال البربر بمدينة جربة و مطماطة في دولة تونس فقد وجدوا متنفسا لهم في أدوات التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك فرصة للالتقاء افتراضيا، لذلك فقد سارعوا إلى إنشاء العديد من المجموعات طرحوا من خلالها مواضيع مهمة تتعلق أساسا: بالتاريخ البربري وبطولات الشخصيات البربرية المشهورة، كما أن موضوع اللغة (الشلحة) يعتبر من أهم ما يطرح للنقاش، بالإضافة إلى العلاقة مع العرب، وكذا التعريف بتقاليد مختلف المناطق البربرية ، الخاصة باللباس والأكلات والمناسبات، مستخدمين في ذلك الكلمة والصورة الفوتوغرافية والفيديوهات. ونفس الشيء ينطبق على الأكراد مثلا بتركيا والعراق ولبنان وتركيا ....

مما سبق يمكننا القول إن الإعلام الجديد وشبكات التواصل الاجتماعي خاصة قد أعطت فرصة للهوية المحلية لإعلاء صوتها أكثر. وهذا يؤكد في المقابل أن من يرى أن الإعلام الجديد أو شبكات التواصل الاجتماعي تصنع هوية رقمية ذات بعد عالمي ما يهدد حتما الهويات المحلية بالانقراض ليس صحيحا دائما.

واستنادا إلى ما سبق يمكننا أن نستنتج أن الإعلام الجديد الذي تتمثل أهم تجلياته في المدونات الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي ومواقع نشر الصور والفيديوهات قد أحدثت نقلة نوعية في أساليب حياة الأفراد وطرق تفكيرهم وتواصلهم، وهو ما أثر في تمثلاتهم لذواتهم وهوياتهم. وإن كان البعض يتخوف من إنتاج هوية الكترونية افتراضية مفرغة من الانتماء والاستناد إلى قيم واضحة، إلا أنه لا يمكننا نكران أو تجاهل التأثيرات الايجابية لتطبيقات الإعلام الجديد تجاه الهويات المحلية، إذ يساهم هذا الأخير في إعطاء فرصة للمنتمين إلى هوية واحدة للالتقاء ببعضهم البعض ومناقشة مواضيعهم المشتركة بكثير من الحرية مما يؤدي إلى تشكيل ضمير ووعي جمعي لا يفتأ يكبر يوما بعد يوم بكثافة.

توصيات

حسب ما أملته دراستنا فانه على المؤسسات الرسمية مثل الأسرة والمدرسة والمسجد والجامعة والمجتمع المدني أن تقوم بدورها على أحسن وجه أكثر من ذي قبل باعتبارها المؤسسات الأولى للتنشئة الاجتماعية، وهي المسؤولة على تكوين الاتجاهات والسلوكيات والقيم والمعتقدات .... إلخ ولها دور في غرس الهوية الثقافية والمحافظة عليها.

- ضرورة توعية الشباب خاصة على حسن استخدام مواقع التواصل الاجتماعية في رفع مستواهم العلمي والثقافي والتربوي والتحصيل العلمي والتأهيل الوظيفي بصورة مبكرة في برامج علمية تطبيقية لإبراز الفائدة الحقيقية من استخدامه واستثمار الفوائد العلمية والثقافية والاجتماعية.
- ضرورة تنظيم الشباب لأوقاتهم في استخدام مواقع "التواصل الاجتماعي"
- إنشاء مجموعات شبابية هادفة على موقع "الفيسبوك" مثلا تتبنى قضايا اجتماعية وثقافية لتبادل المعرفة وتأصيل القيم والمبادئ الأصلية وكذا من أجل التعريف بالثقافة العربية القطرية والقومية الإسلامية عامة.

الخاتمة

يعيش العالم اليوم العديد من التطورات المختلفة التي لها الأثر الكبير على المجتمع بصورة عامة ومن أهم هذه التطورات في عالم الانترنيت المواقع الاجتماعية التي تطورت بشكل كبير. لقد حاولنا في هذه الدراسة معرفة مدى أثر استخدام موقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية إذ يرى الأغلبية أن هذه الوسائل الاتصالية

- تعتبر جسرا للتعرف على الأخر، والاطلاع عليه وعلى الأخبار والمستجدات المحلية والعالمية.
- كما تعدّ وسيلة للترفيه والتسلية ووسيلة للوصول إلى المعلومات وأداة للبحث العلمي والتثقيف وتواصل مع الأقرباء والأصدقاء.
- كذلك هي أداة للهروب من الواقع وللتخلص من الفراغ العاطفي والاجتماعي والقلق والملل؟
- وهي وسيلة ترفع من فرص التفاعل مع العالم الخارجي وتوسع من إدراكهم لما يجري حولهم، خاصة وأنها تتمتع بتقنيات وعناصر تشوق الفرد فهمهم لاستخدامها كالنصوص، الأصوات، الصور، والإضاءة، والتصميم وتوفر خدمات تلبي رغباتهم وحاجاتهم بحيث أنهم يفضلون خدمة الدردشة ومشاركة الصور وخدمة التعليقات ومشاركة الفيديو.

وفيما يتعلق بانعكاسات استخدامه على الهوية الثقافية فقد ساهم في

-إثراء رصيدهم اللغوي وترسيخ العادات والتقاليد وأيضا يساهم في تعميق قيمهم الدينية

لكن رغم كل هذه الآثار الإيجابية إلا وأنه لا يخلو كباقي الوسائط من الآثار السلبية حيث أدى إلى تغيير عاداتهم اليومية واكتسابهم جملة من السلوكيات جديدة والقيم ٍ والعادات المنافية لديننا ومجتمعنا.

- حيث أضعف روح الولاء والانتماء ومكانة اللغة العربية والولاء للدين والوطن.
- كما أنه أدى إلى تمجيد الثقافة الوافدة واكسب الشباب خاصة سلوكيات منحرفة وأفقدهم لقيمهم ومعاييرهم الاجتماعية وجرّدهم من هويتهم الأصلية.

وتشير هذه النتائج على أن مستخدم "شبكات التواصل الاجتماعي" في المجتمعات العربية الإسلامية مستخدم نشط وواع ومدرك لمكونات هويته الثقافية بسبب محدد رئيسي وأساسي وهو مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمسجد والجماعات الأولية التي غرست فيهم الدين، اللغة، القيم، العادات والتقاليد ،وتواصل تعزيزها يوميا ،بمعنى أخر أن الشباب يتفاعلون في علاقاتهم الاجتماعية وفق ما تمليه عليهم البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيهاكما لديه العديد من الحاجات التي يسعى لإشباعها من خلال استخدامه للموقع وانتقائه للمحتوى هذه الحاجة والدوافع تتغير تبعا لعديد من المتغيرات الاجتماعية والنفسية.

ويبقى الإعلام الجديد بخصائصه وسماته الاتصالية العديدة، التي ميزته عن الإعلام القديم، يجمع وبشكل تكاملي بين العديد من الخدمات والوظائف، هذا ما جعله مفضلا عند كثير من الناس خاصة الشباب. إن طبيعة هذا الإعلام بما يحمله من محتوى يثير مخاوف لدى الباحثين من تأثيره في جميع الأصعدة، وعلى صعيد الهوية الثقافية على الأخص، ما يطرح أبعادا إيجابية وسلبية لهذا التأثير.

المراجع

إسماعيل، إبراهيم (٢٠١٢). "العالم المعاصر وسائله ومهاراته وتأثيراته وأخلاقياته" (الإصدار ط١)، قطر، وزارة الثقافة والفنون.

باومان، سيغمونت (٢٠١١). "الثقافة السائلة" (الإصدار ط١)، (حجاج أبو جبر، المترجمون). الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

البريدي، عبد الله (٢٠١٠). الإنسوب إمبريالية التقنية و خضوع الإنسان. جريدة المجاهد الأسبوعي، عدد ٢٦١٧، ١٩.

درويش، عبد الرحيم (٢٠٠٦). "دراسات في الإتصال". مصر، مكتبة دمياط.

رابح، الصادق (٢٠١٣). "فضاءات رقمية" (قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات). بيروت، دار النهضة العربية.

رحومة، عادل بن حاج (٢٠١٠). تنشئة الهويات الفردية عند الشباب عبر القضاءات الإتصالية والمعلوماتية. إضافات، العدد ٩- ١٤٢.

رحومة، علي محمد (٢٠٠٥). الأنترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية التقنية للأنترنت ونمذجة منظومتها الإجتماعية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، العدد، العدد٥٣.

رحومة، علي محمد (٢٠٠٥). الأنترنت والمنظومة التكنواجتماعية، بحث تحليلي في الآلية التقنية للأنترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، العدد ٥٣- ٣٤٤.

عزي، عبد الرحمن (٢٠٠٣). "دراسات في نظرية الاتصال؛ نحو فكر إعلامي متميز". بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

عزي، عبد الرحمن (٢٠١١). "حفريات في الفكر الإعلامي القيمي". تونس، الدار المتوسطية للنشر.

عطية، محمد عبد الرؤوف (٢٠٠٩). "التعليم و أزمة الهوية الثقافية" القاهرة، مؤسسة طيبة للطبع والنشر .

كوش، دنيس. (بلا تاريخ). "مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية". (قاسم المقداد، المترجمون) دمشق، اتحاد الكتاب العرب.

ماتلار، أرمان وميشال (٢٠٠٥). "تاريخ نظريات الاتصال". (ترجمة نصرالدين لعياضي والصادق رابح، المترجمون). بيروت، المنظمة العربية للترجمة.

محمود، خالد وليد (٢٠١١). "شبكات التواصل الإجتماعي وديناميكية التغيير في العالم العربي" (الإصدار ط١). بيروت، مدارك للنشر.

مكاوي، عماد حسن (٢٠٠٣). "الإتصال والنظريات المعاصرة". (ليلى حسين السيد، المحرر) القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

منصور، محمد. (بلا تاريخ). تاثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين: دراسة مقارنة للمواقع الإجتماعية والمواقع العربية أنموذجا. الدانمارك: قسم الإعلام والإتصال: كلية الآداب والتربية الأكادمية.

مهنا، فريال (٢٠٠٢). "علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية". دمشق، دار الفكر.

هايدغير، مارتين (٢٠١٥). "الفلسفة و الهوية والذات" (الإصدار ط١). (محمد المزيان، المترجمون) الرباط، دار الأمان.

المراجع الأجنبية

Brown, K. M., Hoye, R., & Nicholson, M. (2012). Self-Esteem, Self-Efficacy, and Social Connectedness as Mediators of the Relationship between Volunteering and Well-Being. Journal of Social Service Research, (40).

Chapman, Marneita, (2008). Volunteer motivation among African American women: A perspective on purpose and meaning, Dissertation Abstracts International section A: Humanities and social sciences, (14).

Eduard, B., Mooney, L., and Heald, C. (2012). Who is Being Served? The Impact of Student Volunteering on Local Community Organizations. Nonprofit and voluntary Sector Quarterly. 30, (3), 444-461.

Ohsaka Hrroko (2008) The life course of middle-aged and aged woman volunteer and their ways of over coming negative events, The Japanese Journal of social Psychology, (24).